قدسية شهر رمضان

تفضل الخطيب الشهير الشيخ سلمان الأنباري فبعث بهذه المحاضرة القيمة عن قدسية رمضان المبارك . وفضيلته سبق ان نشر كثيراً من محاضراته القيمة في السنة الثانية ، والذي وفق فيها بين الدين ومنطق الحياة ، وفي هذا الشهر يلبي شأنه في كل عام « الشباب البصري » النبيل حيث يواصل محاضراته الدينية والارشادية خلال ثلاثين ليلة في « جامع للظفر » بعشار البصرة .

[البيان]

قال الله تعالى : « شهر رمضان ، الذي انزل فيه القرآن ، هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ، ومن كان منكم مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر » .

صدق الله العظيم

امتاز شهر الله العظيم بين سائر الشهور لما خصه بالثناء في الكتاب المجيد ، ولما حاز على قدسية من انواع العبادات . واذا كان لكل مكان ميزة فان لكل زمان ميزة ، وهذه تظهر في الفصول الاربع فتجد فصلا دون آخر يهيمن

الركع الذين جعلوا من الاسحار منتدى لارواحهم فاصطفوا لملاقاة الخالق والقرب منه .

أما مجالس النجف في رمضان فقد مرت علي سنون لا تقل عن ثلاثين وأنا أختلف عليها ، ولا أغالي اذا قلت أنها مدارس تطبيقية تظهر فيها مقاييس الثقافة والمثقفين ومعرفة المجتهدين من أهل العلم لما يدور فيها من جدال ومحاكمات لآراء السلف الصالح ، وتوضيح لفلسفة التشريع وتصوير للفضيلة من طريق الادب الصحيح ، ولكن هذه المجالس تكيفت بحكم الظروف فانقلبت الى سمر ممتع وعرض قصصي جميل ومحادثات جوفاء لا تمت للحياة بصلة . غير أن الظروف الاخيرة التي غيرت من مجرى تفكير المجتمع على الاكثر بسبب الحرب العالمية الثانيـــة وجهت الناس الى التحدث عن الشئون الاقتصاديـة والاوضاع السياسية ، واستعراض أحوال الشعوب الضعيفة والحكومات المستعمرة وجشع الساسة ، واضطراب التوجيه وارتباك الحق وفقدان المخلص ، وظهور الحشرات التي لم يسبق للخيال أن يتصورها فاذا بها حقائق ملموسة وأمثال قائمة . هي « اسرائيل » .

بهذه الخواطر تعج انديتنا اليوم ، وبهذه الخواطر يكثر التحدث ويتفشى القول بنقد الصحافة لعدم ادائها لرسالتها . والعلماء لعـدم تصريحهم بآرائهم الصحيحة أمام العوام ، والادباء لعدم إعرابهم عن نقائص المجتمع ، والساسة لعدم قيامهم بتسيير القافلة وايصالها الى مكانها الامين ، والتجار لابتزازهم أموال الناس وجشعهم الذي يصورلهم في كل يوم طريقة للاستغلال والاستعمار الذي أحاط بنا إحاطة السوار بالمعصم ما جعلنا نرقص كالمذبوح من الالم .

ففي رمضان الماضي نشكو فقدان الحبوب وجلبها من خارج العراق ، وفي رمضاننا هذا نشكو من كثرتها ونضجر من وجودها .

وزاد على هذا البلاء المتواصل فقدان الماء وانتشار العطش لضيق حدود ـ اسالة الماء ـ وانقطاعها عن معظم البيوت في مثل هذه الايام . فهل اصيب شعب بمثل ما اصبنا به أو ذلك مما كسبته أيدينا . .

علي الخاقاني

على النفوس ببهجة وعلى القلوب بانشراح ، ورمضان شهر ينفرد في العام فتشاهد فيه النفس تنطلق في اجواء بعيدة من لذة الروح .

وقد خص هذا الشهر بظواهر عديدة كان من بينها « الصوم » الذي نعتبره أهم وازع ديني ونفسي لما فيه من فلسفة عميقة وتشريع سامي ، ولا ينكر أحد ما فيه من فوائد عدة كفل بيانها الطب القديم والحديث ، وأبانها علماء التشريع من طريق السماع الديني ، والصوم شأن سائر العبادات التي توحد بين العناصر وتصقل النفوس وتفرض على الانسان معرفة حق الضعيف وعدم استغلاله وتري الغني معنى الجوع والفقر وخطرهما ، وللصوم اخلاق فرضها الشارع وأقرها العقل ، فقد حذر الصائم ان يرتكب الموبقات بانواعها كما حظر عليه ان يهاجم الناس ويفتري عليهم ، مما قيد كل جارحة بقيود اخلاقية ترفع صاحبها الى مراتب عالية من حسن السيرة وتلطيف السريرة وجعل المشرع للصوم حدودا ومراتب وضحها في قوانينه وأفاض ببسطها كما أكد وجوبه والقضاء عنه في الوقت الذي لم تقض الصلوة اذا سقطت عن صاحبها بحكم من الاحكام ولكنه أوجب قضاء الصوم . ولعل فلسفة ذلك لأنه شهر واحد في العام فأنه كما جاء في الحديث « صوموا تصحوا » ولهذا وذاك امتاز رمضان باسرار عظيمة تتجلى للباحث في فلسفة التشريع تجلياً يوقفه على الحقيقة والغاية

هذا تمهيد مقتضب رأيت أن أقدمه عن هذا الشهر المبارك وكعرض فكرة توجه السامع الى التمشي وراء تقديس الشريعة ومصاحبتها للعلم في جميع الأدوار ، وللاحاطة نذكر لك تفسير الآية الكريمة وتعليل ألفاظها حسب الامكان .

الشهر إسم معروف لزمن معين ، وجمعه شهور واشهر ولعله اخذ من الشهرة وهي ظهور الامر ، ومنه شهرت الحديث أظهرته ، وشهر فلان سيفه اذا انتضاه ، والمشهر الذي أتى عليه شهر ، وأشهرت المرأة اذا دخلت في شهر ولادها ، والمشاهرة المعاملة ، وسمي الشهر شهراً لاشتهاره بالهلال .

ويعلل ابو جعفر الطوسي في « التبيان » تسميته برمضان وان اشتقاقه من الرمض ، فقد قال ابن دريد : الرمض شدة وقع الشمس على الرمل وغيره ، والارض رمضاء ورمض يومنا رمضا اذا اشتد حره ، وخص كل بتسمية تتعلق بظرفه فوافق (رمضان) ايام رمض الحر .

« شهر رمضان » وقع مرفوعا لثلاثة وجوه : [١] أن يكون خبر ابتداء محذوف يدل عليه أياما معدودات [٢] على مالم يسم فاعله ، ويكون بدلا من الصيام وتقديره كتب عليكم الصيام شهر رمضان [٣] أن يكون مبتدا وخبره الذي انزل فيه القرآن .

وفي كيفية نزول القرآن وجهان « ١ » ذكر ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن : ان الله انزل جميع القرآن في ليلة القدر الى السماء الدنيا ، ثم انزل على النبي بعد ذلك نجوما ، وهو المروي عن ابي عبد الله « ع » « ٢ » إبتدأ انزاله في ليلة القدر ، وعليه المشهور .

وقوله تعالى : فمن شهد منكم الشهر فليصمه . . . فيه قولان (١) من شاهد منكم الشهر مقيما (٢٠) من شهده بان حضر ولم يغب ، لأنه يقال شاهد بمعنى حاضر ، وشاهد بمعنى مشاهد .

وقوله : « ومن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر » يدل دلالة واضحة على وجوب الافطار في السفر لأنه أوجب القضاء بنفس السفر والمرض ، وكل من قال ذلك أوجب الافطار ، ومن قدر في الآية : أو على سفر فافطر . فعدة من أيام أخر ، زاد في الظاهر ما ليس فيه .

لعلي ايها القاريء قربت لذهنك فكرة موجزة عن هذا الشهر وفلسفة تشريع الصوم فيه كما رجوت أن أوضح لرجال الغد وشباب اليوم صورة عن الفضيلة التي تسمو بهم في هذا الشهر المبارك والخير الذي ينبثق منه محاولا أن نصل الى الحقيقة المطلوبة التي ترزخ اليوم تحت ضغط من اللادينية المقيتة لتسمو أرواحنا ونعيش بسلام وخير وسعادة .

نزيل البصرة . سلمان الأنباري